The Role of the Argumentation-Techniques In The Pragmatics Intonations

"*The Rubble of Time: a woman`s Shattered Body* " Novel by Anisa Aboud

Dr. Malek Yaseen [*]
Malaz Harfosh [**]

(Received 12 / 2 / 2023. Accepted 26 / 6 / 2023)

□ ABSTRACT □

The research exposes the implication meaning in the novel Accor to the argumentation theory، this theory got attention in the linguistic research، because it has a role in an enable intents.

This research is studying the novel Accor to the argumentation linguistic study، it supposes that the novel is not just a literary work that has aesthetic structure or a system of ideas and self-realization، indeed، the novel remains above the criticism of the reality، because it's seek to change the reality، and it's led to alternative ideas، these ideas should be a strong force in the community .

In this novel، the research is test the essence of speech for discover the techniques of the different persuasion، these techniques work to change the position of recipient to get to the purposes of the speech، and we will explain the argumentation purposes that we discovered through analysis this novel.

Key words: argumentation، pragmatics، contacts، implicit meaning، intonation.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Associate Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia , Syria.**

[**] **P.HD student, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria. Malaz19harfosh86@gmail.com**

دور الآليّات الحجاجيّة في تمكين المقاصد التّداوليّة
رواية "ركام الزّمن ركام امرأة" لأنيسة عبّود

د. مالك ياسين*

ملاذ حرفوش**

(تاريخ الإيداع 12 / 2 / 2023. قبل للنشر في 26 / 6 / 2023)

□ ملخّص □

تكشف رواية "**ركام الزّمن ركام امرأة**" في هذا البحث عن مقاصدها اللّغوية وفق المنظور الحجاجيّ، وقد حظي الحجاج بأهميّة بالغة في مجال البحث اللّسانيّ، لما له من دور في تحديد المقاصد اللّغوية والوصول إلى المعاني الضّمنيّة، إذ تبحث هذه الدّراسة في لغة رواية "**ركام الزّمن ركام امرأة**" للكاتبة "**أنيسة عبّود**" وفق دراسة لسانيّة حجاجيّة، تفترض أن الرّواية ليست مجرد عمل أدبيّ ذي بنية فنّيّة جماليّة، أو أنّها منظومة من الأفكار والرّؤى الذّاتيّة التي تُعرض في السّاحة الأدبيّة لتكون مادة للنّقد الاجتماعي، بل هي عمل يترفّع على نقد الواقع، ويعمل على تغييره أو تعديله، ويهدف إلى إيجاد أفكار بديلة فاعلة في المجتمع والحياة.

وفي هذه الرّواية يسبر البحث جوهر التّلفظ للكشف عن أهدافه، وعن مدى فاعليّة الآليّات الإقناعيّة المختلفة والمتناوبة فيما بينها؛ لتغيير موقف المتلقّي، وللوصول إلى المعاني الضّمنيّة والمقاصد اللّغويّة الكامنة في طيّاته، ويحدّد في نهاية الدّراسة المقاصد الحجاجيّة التي استخلصها من خلال الآليّات الحجاجيّة التي ساهمت في بناء لغة العمل الروائي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، التداولية، السياق، المقاصد، المعنى الضمني.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ. قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقيّة، سورية.**

** **طالبة دكتوراه (الدّراسات اللّغويّة). كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقية، سورية.malaz19harfosh86@gmail.com**

مقدّمة:

يعالج البحث رواية "ركام الزّمن ركام امرأة" من منظور لسانيّ، ويتناول الجانب الحجاجيّ في الدّرس التّداوليّ، إذ يفترض البحث أنّ الرّواية تخطّت التّرف الجماليّ، والتّأنّق بالجانب الفنّيّ، لتركّز على بعضٍ من هموم الإنسان والمجتمع وقضاياه المعاصرة، بلغة إقناعيّة تثير المتلقي، وتحرّضه على القيام بعمل محدّد، وذلك وفق أساليب إقناعيّة وآليّات حجاجيّة تستحقّ البحث والتّقصّي، للوصول إلى المقاصد اللّغويّة والمعاني الضّمنيّة.

أهميّة البحث وأهدافه:

تسعى الدّراسة إلى البحث في آليّات الجانب الإقناعيّ في لغة الرّواية، بعيداً عن التّحليلات العامّة، وعن الآراء النّقديّة المسبقة الّتي تلفّ الأعمال الرّوائية عادة، بهدف الوصول إلى نتائج جديدة وموضوعية وذات صلة بمقاصد العمل الروائيّ، فيعمل البحث على استقصاء مواطن الفعل الإقناعيّ من خلال رصد المحاججة اللّغويّة المبثوثة بآليّات مختلفة وتقنيّات متعدّدة، إذ يفترض البحث أنّ الرّوايّة حظيت بأبعاد حجاجيّة تعمل في جوهرها على إيصال معلومات معيّنة، وتعديل موقف المتلقّي أو تغييره، وحثّه على تبنّي أفكار محدّدة، وذلك ممّا ألفيناهُ يستحقّ البحث.

منهج البحث:

المنهج المتّبع في الدّراسة هو المنهج الوصفيّ القائم على تحديد زمانيّ ومكانيّ، يرتبط برواية سوريّة معاصرة، طُبعت أول طبعة عام 2005، معتمدة أدوات المنهج الوصفيّ، من استقراء المادّة، وجمعها، وتصنيف البنية النّصّيّة وتحليلها، وصولاً إلى هدف البحث ونتائجه الوصفيّة والعلميّة والموضوعيّة.

المناقشة:

1- الإطار النّظريّ:

أ- الحجاج ونشأته:

لا بدّ من إطار نظريّ موجز يقوم عليه البحث في تبيان نظريّة الحجاج Argumentation Theory قبل الولوج في الجانب التّطبيقيّ، فأمّا الحجاج لغة فقد جاء في لسان العرب في مادّة حجج: "الحُجَّة: البُرْهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم... وهو رجل مِحْجاجٌ أي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّهُ محاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجَّةَ. وحَجّه يَحُجُّه حَجّاً: غلبه على حُجَّتِه" [1]. وأمّا اصطلاحاً فوردت تعريفات متعددة، منها أنه من منظور عقليّ نشاط لغويّ واجتماعيّ، غايته دعم وجهة نظر ما أو إضعافها لدى المتلقي عن طريق تقديم قضايا متعدّدة لدعم الفكرة أو دحضها[2]، وهو "طريقة تقود الإنسان إلى تحقيق رغباته المختلفة، انتصاراً لفكرهِ أو تعزيزاً لمذهبه أو تأكيداً

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري. لسان العرب، تحـ: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشازلي، ط1، دار المعارف، مصر، 1981. مادة: حجج.

[2] شارودو، باتريك؛ منغنو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب، بالاشتراك مع: كاترين أوركيوني، وكرستيان بلانتان وآخرون، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، 2008، ص70. نقلاً عن كتاب لـ "فان ايميران" وغيره Van Eemeren , Fundamentals of Argumentation Theory, Mahwah (N.J) 1996,5.

لأطروحته أو إبرازاً لقدراته ومهاراته العقليّة واللغويّة"[3]. فهذا يشير إلى أنّه عمل لغويّ يُمارس لغايات شخصيّة أو جمعيّة، ويرتبط بوجود قناعات مختلفة واتّجاهات متناقضة، ما يجعل طابعه جدليّاً، فيسعى كلّ مخاطِب إلى شدّ المخاطَب إلى قضيّته، وصولاً للاقتناع بها، أو التّمثّل لهدف ما يُفحم المتلقّي، ويغلق عليه المنافذ الأخرى، وتتولّد عن هذه العمليّة آليّات وأساليب مختلفة تصبّ في قالب الهدف نفسه، فالحجاج قائم في لغة الخطاب والعمليّة التخاطبيّة عندما يحضر طرفا الخلاف أو الاختلاف، وهو ليس وليد الدّراسات اللّسانيّة الحديثة، بل هو أصيل في الفكر الإنسانيّ منذ القدم، ولكنّه مرّ بأطوار طوّرت أشكال العمل به، والنّظر في عمليّاته الإجرائيّة، ورسّخت دوره في التّواصل.

ومرّ الحجاج بمراحل متعدّدة، إذ نضج في زمن أرسطو، وازدهر في خطب خطباء عصره، فشكّلت بلاغة أرسطو مرشداً حجاجيّاً للخطب حينها، من ثمّ مرّ بمرحلة انحطاط، وتدهورت نظريّة الحجاج بعد سقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة، فما لبث أن جمد وركد وغدا صوراً ومحسنات بلاغية، غير أنّه انتعش وأعاد صلته بالبلاغة على يد كل من "بيرلمان" و"تولمان"، ودخل في مرحلة التّجديد، واتّخذ شكله الجديد الذي عُرف باسم البلاغة الجديدة[4]، فبعد أن حدثت قطيعة معرفيّة بين البلاغة القديمة والجديدة في الغرب، عادت البلاغة أشدّ ثباتاً في أشكال تأثيريّة، مثبتةً من خلال الدّراسات العلميّة دورَ البلاغة في الوظيفة التخاطبيّة الإقناعيّة، فلم تعد تُدرس بوصفها محسّنات شكليّة أو صوراً مجازيّة، بل غدت لغة تصويريّة ذات غايات تأثيريّة تحريضيّة، ومقاصد محدّدة توجّهنا إليها تلك الصور.

وبالنّظر إلى طبيعة هذا النّوع من الخطاب الطّبيعيّ، يظهر متّسماً بالخصوبة والالتباس والتّداول والتّفاعل الاجتماعيّ[5]، هذا يعني أنّ القارئ أمام عمليّة معقّدة من التّواصل اللّغوي الذي تحفّه ملابسات ومزالق، يسعى المتكلّم إلى ردمها ومدّ النظر إلى سواها وجذب المتلقي، إذ يضمن المتكلّم نفاذ مقاصده وبلوغ غاياته.

ومنذ عدّت الدراساتُ البلاغةَ عملاً يحمل صبغة إقناعيّة في صوره ومجازه، كُثف الاهتمام بالمنحى الإقناعيّ وأشكاله، واتّخذت الوظيفة الإقناعيّة في البلاغة طابعين: طابعاً عقليّاً: مال إلى إثبات الحقائق وتأكيدها، وطابعاً تأثيريّاً: يستدرج فيه الحجاجُ المتلقي إلى قناعة المتكلّم وأهدافه[6]، فالتّواصل اللّغويّ يسعى إلى بلوغ نتائج تثبت صحّة قضيّة وصدقها، وفق عمليّة لا يمكن إثباتها من خلال عمليّة برهانيّة منطقيّة قطعيّة النتائج، بل من خلال توسّم لغة إقناعيّة مجنّدة بالحجج المحضة التي تخاطب العقل أو العاطفة، وقد تخاطبهما معاً.

ب- أهميّة الحجاج ودوره الإقناعيّ:

تتعمّق قيمة الحجّة في المحاولة الإقناعيّة المصوغة بوساطة اللّغة، أكثر من كونها حقيقيّة أو صادقة؛ بمعنى آخر؛ تكتسب الحجّةُ القيمةَ من خلال الإقناع الّذي تولّده آليّات الحجة؛ لأنّها ترتبط بقناعة المتكلّم وأهدافه، ولا تتوقّف بالضّرورة عند الواقع، "إنّه لا ينطلق من حقيقة مفروضة، بل من قناعة ينبغي بناؤها، فهو عمليّة تعتمد على التّوافق

---

[3] **عشير، د.عبد السلام. *عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج*، د.ط، أفريقيا الشرق- المغرب، 2006، 209.**

[4] **يُنظر: بروتون، فيليب؛ جوتييه، جيل. *تاريخ نظريات الحجاج*، تر: د. محمد صالح ناحي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، 2011، 18-19.**

[5] **ينظر: الرقبي، د.رضوان. *الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله*. عالم الفكر- الكويت، م40 ع2. 2011، 81.**

[6] **يُنظر: شارودو، باتريك. *الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى*، ترجمة: د. أحمد الودرني، ، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة 2009، 14-15.**

وليس القطعية"[7]، وقيمة الفكرة "ليست في انطباقها على حقائق الموجودات، وإنما في الأعمال التي تؤدّي إليها هذه الأفكار، وفي التّغييرات الّتي تنتجها في الدّنيا المحيطة بنا"[8]، على أنّ هذا التّوجه في الحجاج لا يلغي صدق القضيّة، ولا يقلّل من قيمتها، فالقناعة هي الّتي تعنينا، وهي الّتي يبنّيها المتكلّم في لغته الّتي يتواصل من خلالها مع المتلقّي، وللغة الإقناع قيمة تتمثّل في تحريض المتلقّي وتغيير مساره وتوجّهاته وقيمه.

إنّ العمليّة الحجاجيّة سيف ذو وجهين، فالعمل على دعم قضيّة لا يقتضي صحّتها بالضّرورة، إذ إنّ المحاجّ يفتّش عن آليّات لغويّة وأساليب بلاغيّة تدعم القضيّة، وتُغيّب ما خالفها، وقد تُخطّئه إن لزم الأمر، ويعود هذا الإصرار اللّغوي إلى أهميّة القضيّة لديه، وضرورة الأخذ بها في مقام بعينه، وتكمن المفارقة أحياناً في اعتماد المحاجّ على أدلّة لغويّة وحجج تخالف معتقداته الضّمنيّة، ومن الممكن أن يقع في مأزق التّناقضات الفكريّة والكلاميّة، لكنّ غايته الإقناعيّة الّتي تنتصر إلى جهة ينتمي إليها قد تسوّغ وسيلته، ويثبت هذا مدى أهميّة الحجّة نسبة إلى المحاجّ، وليس مدى صحتها أو مطابقتها للواقع أو صدقها.

الآليّات الحجاجيّة:

يُبنى الحجاج على استراتيجيات لغويّة متنوّعة وصولاً إلى مرحلة الإقناع، وتضطّلع اللّغة الإقناعيّة فيه بأدوات تتمثّل في بنيتين؛ الأولى: استدلاليّة داخليّة قائمة على القياس والاستدلال، والأخرى: تتولّد عن وقائع خارجيّة تتجلّى من خلال الشّواهد أو المثل أو الصّور البلاغيّة والتّراكيب النّحويّة[9]، ولا شكّ أنّ الآليّتين السّابقتين تتداخلان في البنية اللّغويّة للنّصّ أو للخطاب، فتعملان على الإحاطة بالمتلقي، وتوجيهه إلى مقاصد بعينها، ذلك أنّ اللّغة الحجاجيّة تقدّم قضايا عدة مرتبطة ببعضها، وداعمة لمقاصدها، وتشحذ الاستدلال بجملة من الوسائط البلاغيّة والنّحويّة التي تخدم الغرض التّداولي* للّغة.

وقد سعى كلّ من "ديكرو" و "أنسكومبر" إلى إثبات الوظيفة التّواصليّة والحجاجيّة في اللّغة، فالحجاج لصيق باللّغة، واللّغة ذات توجيه حجاجيّ من خلال روابط وعوامل لسانيّة، تشتغل لتوجيه الدّلالة وجهة معيّنة بحسب مقاصد المتكلّم[10]، فتتطلّب الآليّات الحجاجيّة المتعدّدة تحليلاً دقيقاً وعميقاً لبلوغ المعنى المقصود، تحليلاً يصل حدّ التّفسير والتّأويل المستنبطَينِ من خلال أدوات الإقناع، مستعينين بالروابط الحجاجيّة الّتي تحدّد الأسباب والنّتائج، أمّا تلك الرّوابط فهي متنوّعة، ولكلّ رابط دلالة لغوية ودور موجّه إلى مقصد معيّن، و"بما أنّ التّقنيات الحجاجيّة كيانات مجرّدة يشغلها المحاجّ بجملة من القيم والحقائق حتّى تصبح فاعلة في الخطاب موجّهة حركته، فإنّ المقصد منها، الأفعال

---

[7] بروتون، فيليب، تاريخ نظريات الحجاج، 14.

[8] فام، يعقوب. *البراغماتزم أو مذهب الذرائع*، د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، السلسلة الفلسفية، 1936، 151.

[9] ينظر: عشير، د.عبد السلام. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، 89-88.

*** التداولية: هي نظرية لسانية حديثة تضم نظريات متعددة منها: نظرية أفعال الكلام، والنظرية الحجاجية ، والتداولية هي "دراسة استعمال اللغة مقابل النظام اللساني الذي تعنى به تحديداً اللسانيات"، روبول، آن؛ موشلر، جاك. القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، د.ط، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، سلسلة اللسان، د.ت، ص21. وراجع: هي "دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"، يول، جورج. تر: قصي العتابي، *التداولية PRAGMATICS*، ط1، الدار العربية للعوم ناشرون، دار الأمان الرباط، 2010، 19.**

[10] عمر، جايلي. *العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر*، جامعة الأغواط، الجزائر، ع3، 2018، 198.

الحجاجيّة الّتي ينجرّ عنها تبديل عقائد الجمهور وتوجيه تصوّراته العقديّة والرّمزيّة والأنطولوجيّة"[11]، فالباحث يجد في الحجّة كياناً مفرّغاً ما لم تفعم بالحقائق، غير أنّنا في حقيقة الأمر نجد أنّ الحقائق في اللّغة أمر نسبيّ، والمحاجّ يسعى إلى إثبات وجهة نظره بطريقته الإقناعيّة المناسبة، وعليه فقد يمتلك ناصية الإقناع وإسكات خصمه أو يفقد هذه المقدرة، وهذا التّوفيق الإقناعي لا يعود إلى حقيقة الحجّة وصدقها في العالم الخارجي، بقدر ما يرتبط بالمقدرة الإقناعيّة للمحاجّ.

لغة الرّواية:

الرّواية فنّ أدبيّ معاصر، احتلّت مكانة بارزة في غضون عقود متلاحقة وجيزة، وتعزّزت مع تزايد الاهتمام بالسّرد، فتطوّرت لغة الرّواية وبنيتها الفنّيّة، وتنوّعت موضوعاتها لتشمل قضايا عدّة، وقد رأى سعيد يقطين أنّ الرّواية عنيت بقضايا وجوديّة ذاتيّة اجتمعت فيها الخصوصيّة التّعبيريّة والجماليّة، وقضايا وجوديّة موضوعيّة ارتبطت بالمجتمع وعوالمه[12]، وفي هذا البحث الموجز لن نكون بصدد تناول فنّ الرّواية ونشأتها، إنّما يقتضي موضوع البحث التّركيز على دور الرّواية التّواصليّ، والجانب الإقناعيّ والبعد الحجاجيّ فيها، فالرّواية ليست مضماراً لتمثيل البناء الفنّيّ والجماليّ، بل هي وسيلة معاصرة للتّواصل الإنسانيّ، وهي المحراب الّذي يضمّ قضايا وهموماً بشريّة جمّة، قضايا اجتماعيّة وذاتيّة ووجوديّة تستدعي لغة ساردة تحتمل عبء الفكرة وحاجاتها، وإذا كانت الرّواية عملاً أدبيّاً جماليّاً إبداعيّاً فهي لا تنأى عن كونها ذات بنية حجاجيّة خطابيّة ترتبط بقضايا مجتمعيّة ووجوديّة، وتدعو إلى ممارسات عمليّة للتّغيير.

وفي هذا البحث، اختيرت رواية "**ركام الزّمن ركام امرأة**" للكاتبة السورية "**أنيسة عبود**"، بوصفها رواية تتمتّع بأبعاد فكريّة ووجوديّة، كما حفلت بآليّات حجاجيّة تعزّز المقاصد، وتحثّ عليها، وذلك ممّا ألفيته يستحق البحث التداوليّ.

2- مناقشة وعرض في الجانب التّطبيقيّ:

تقدّم لغة النّصّ الرّوائي نفسها في "**ركام الزّمن ركام امرأة**"* في بنيّة لغويّة تحفل بالأبعاد الدّلاليّة والآليّات الإقناعيّة، لتنفتح على قضايا اجتماعيّة ووطنيّة وذاتيّة، وسيكشف العرض التّطبيقيّ الآليّات الحجاجيّة المنجزة الّتي تسوق مقاصد معيّنة، أمّا البدء فمن العنوان:

عتبة العنوان:

يفتتح العنوان "**ركام الزّمن ركام امرأة**" الرّواية بلغة واصفة تعرض مقدّمتين لغويّتين: الأولى هي "ركام الزّمن"، والثّانية هي "ركام امرأة"، وفق استهلال تمهيديّ يتصدّر فيه الحجاج التّقريريّ الاستدلاليّ العنوان، ويمهّد للفكرة الّتي تتضمّنها الرّواية، ويهيّئ المتلقي ويقوده إلى وجهة بعينها، وتظلّ أسباب ربط الزّمن بالمرأة تحت ركام واحد مرجأة إلى حين

---

[11] الشبعان، علي. *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة*، دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت، تقديم: حمادي صمود، ط1، 2010، 263.

[12] ينظر: يقطين، سعيد. *قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود*، ط1، رؤية، 2010، 11 وما بعد.

*** نبذة عن الرواية: تدور أحداث الرواية المعاصرة في الساحل السوري كفضاء مكاني مفترض، فتتأرجح أحداثها التي جاءت بتقنية الزمن المتقطع بين الحاضر المتمثل في شخصية "سلوى"، المرأة التي تواجه أحداثاً مختلفة مضنية وغير هادئة، تشوبها نظرة مجتمع ناقدة ساخطة، في ظل غياب زوجها "أمجد" الذي اعتُقل أعواماً طويلة، مخلفاً وراءه زوجة شابة وطفلين صغيرين، والماضي الذي تمثله والدة سلوى "عبلة"، تلك التي عانت من اليتم وكابدت طفولة قاسية ومؤلمة في إمرة زوجة عم متسلطة، تتخلل الرواية مجموعة من الأحداث التي تمر بها "سلوى" و"عبلة" في تلاحم بين الماضي والحاضر، وتشتد العقدة عند خروج "أمجد" من السجن وشعوره بالغربة عن زوجته وعن مجتمعه، فيعود أدراجه إلى السجن بملء إرادته، وتبقى "سلوى" وحيدة تائهة تشوبها مشاعر القلق والألم.**

الكشف عن الفكرة في المتن؛ إذ يحمل العنوان في بنيته اللّغويّة حمولة دلاليّة، ليُفصح عن مقاصده من خلال متن الرّواية، فالرواية تقصّ حكاية امرأة جريئة، تحكمها ظروف حياتيّة قاسية، تحدّ من قدراتها، وتعيق تطورها، فتدلّ الرواية على تراكم تلك العقبات التي شكّلت عبر الزّمن ركاماً هائلاً تصعب مواجهته.

متن الرّواية:

يمثّل النّصّ الرّوائيّ بنية لغويّة متماسكة، نسبر مقاصده من خلال التّحليل والتّفسير، واختيرت شواهد محدّدة من النّصّ، أزعم أنّها حملت أبعاداً تداوليّة تتطلّب التّأويل، وفي "ركام الزّمن" يستوقفنا حوار يدور بين الأم "عبلة" وابنتها "سلوى" في مطلع الرّواية عن انتهاكات الجسد الّذي تمرّ به سلوى عقب اعتقال زوجها:

"**هي لعنة حوّاء منذ الأزل إلى الأبد .. ماذا نفعل أمام غول شهواتهم.**

أكره جسدي يا أمّي ...

ربّما لأنّي بلا رَجُل"[13]"

يفتقر هذا الحوار إلى الصّبغة الجدليّة وإلى طابع المفاوضة، أو إلى أيّ شكل من أشكال الحوار التّفاعليّ الخلّاق، ويتّسم بالانهزاميّة، ذلك عندما تصدر الأمّ حكماً بحجاجها الرّمزيّ "**لعنة حوّاء**"، إذ تغلق منافذ الدّفاع، وتسوّغ عذابات ابنتها "سلوى" بأنّها راسخة لدى المرأة منذ الأزل، وأنّه لا مفرّ من الاستسلام، وفق عقليّة تقليديّة مشرعنة تمثّل الأصول، لتأتي لغة "سلوى" معبّرة عن استنكار الجسد، وفق اقتضاء تداوليّ يفترض أنّ الإنسان يحبّ جسده، ويقتضي تسويغ هذا الكره المناقض للشّعور الإنسانيّ بعرض مقدّمتين:

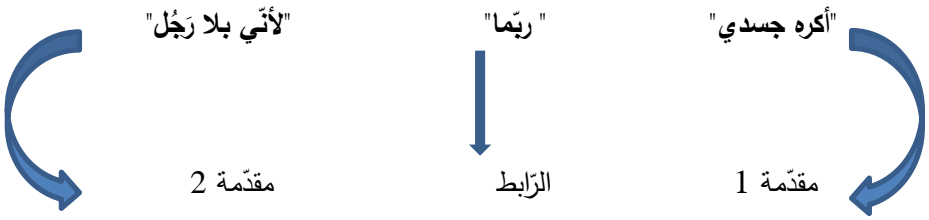

فتربط الأداة "ربّما" سببيّاً بين المقدّمتين، والرابط تداوليّاً علامة لغويّة تربط بين عملين لغويّين حجاجيّين داخل قول واحد[14]، فتسوّغ الأداة كره الجسد بفقدان حضور الرّجل، وتوحي بمعنى ضمنيّ أوّليّ يتمثّل بكون **الرّجل قيّماً على المرأة، ووصيّاً عليها، وسبباً لصون جسدها في العرف الاجتماعيّ**، ولكن، أين يكمن المقصد التّداوليّ التّأويليّ الأجدر بالفهم؟

يبدو أنّ "جسد المرأة لا ينفكّ يواجهنا بعطالة تاريخ، ودماء تنزف داخلاً وخارجاً، وصرخات ضحايا من النّساء، وهدر حقوق، وتصميت أصوات، عندما نتعرّف إلى هذا الجسد من خلال: الجارية والأمة والمحظيّة والسّريّة... وكلّ هذه التّصنيفات لا تترك للمرأة باعتبارها الجسديّ سبيلاً إلى راحة أو هدنة مع جسدها، لتنعم به أو لتستكين إليه بعيداً عن

[13] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، ط2، التكوين، 2009، 25.**

[14] **يُنظر: روبول، آن؛ موشلر، جاك. *القاموس الموسوعي للتداولية*، ص299.**

إيحاء وسواسيّ أو هاجس عصابيّ"[15]، فتاريخ المرأة حافل بالقضايا الرّمزية والقصص التي ارتبطت بجسدها وجماله ومفاتنه، لكنّ جسدها انعكس في بعض المواقف سلباً عليها، إنّ كره المرأة لجسدها يعبّر عن كره النّفس وعدم الثّقة بها، أمّا حبّ الجسد فيتبعه حبّ الإنسان لنفسه، ومن ثمّ ثقته بقدراته وإمكاناته، فالمتلقي مدعوّ بسلطة الحجاج الاستدلاليّ إلى التّحرر من سلطة الرّجل، وإلى حبّ النفس والجسد، وإلى الثقة بما يملكه المرء من مقدرة يتحدّى بها المجتمع ونظرته المسبقة إلى المرأة الوحيدة.

ويفرز النّصّ دلالات يبثّها في مواضع أخرى كما جاء في وصف حال "سلوى": "**كادت أن تتهاوى وتعترف له بأنّها تحبّه ولكنّ أمّها قالت مرّة: المرأة لا تعترف للشّاب، فترخص بنفسها**"[16] فنجد أنّنا أمام قضيّتين، تُلغَى الأولى أمام عائق تثبته القضية الثّانية، من خلال أداة الرّبط "لكن"، الرّابط الحجاجيّ علامة لغويّة تربط عملين لغويين داخل قول واحد، فيُعدّ آليّة حجاجيّة تربط بين القضايا الاستدلاليّة، وهو رابط مقابلة يضع قضيّتين متضادّتين في حيّز الصّراع، فاعتراف المرأة بحبّها محظور قيميّاً، ومحكوم بقوّة العرف الاجتماعيّ، وقيمة الاعتراف تصطدم بقوّة الحجاج التّرهيبيّ القائم على سطوة الأعراف، فتسقط قيمة (الاعتراف) أمام حجّة مثبتة بشهادة المجتمع، وهي (الصّمت)، ذلك أنّ حجاج القوّة المدعوم بسطوة المجتمع يحجب الاعتراف بفضيلة الحبّ، ويلزمها الصّمت أو النكران أمام سلطة الأعراف، ويرى أحد الباحثين أنّ حجاج القوّة يقوم إمّا على التّرهيب وإمّا على التّجربة[17]، وممّا لا شكّ فيه أنّ التّجربة الاجتماعيّة شكّلت مرجعاً في هذه القضيّة، ورادعاً يحيل بين البوح والصّمت، بين إثبات الذّات وتحجيمها.

وتطال سلطة العادات الاجتماعيّة المتوارثة مسألة الزّواج، وتلحّ عليها بقوّة، وتؤطّره وفق أنماط ثابتة، فـ"سلوى" حوربت في الماضي عقب عزمها على الزّواج من رجل أحبّته، جاء قوله: "**هي مجبرة على تركه بسبب العادات والتّقاليد وفارق السّن. كان فارق السّن هو العائق الأساسيّ الّذي زرعه الأهل في رأسها**"[18]، توحي لغة الاستعارة الواردة في "زرعه الأهل" بمعانٍ ضمنيّة، إذ شبّهت عائق فارق السّن ببذرة تنمو، وستثمر عادات وتقاليد راسخة، والاستعارة "فنّ لغويّ تداوليّ يعطي للقول قوّته الدّلاليّة وإصابته النّفسيّة، تأثيراً وانفعالاً واستحساناً"[19]، ذلك أنّ الفكرة يغرسها المجتمع ويرعاها لضمان استمرار العقليّة المشرعنة اجتماعيّاً، فيضمن المجتمع استقراره وثباته وسطوته، ويعزّز من سلطة الرّجل على المرأة، تقول في موضع آخر:

"**أكره الرّجال يا أمّي**

كلّنا نقول ذلك يا سلوى ثمّ نتراجع .. لأنّ الرّجل يؤكّد لنا وجودنا"[20].

في هذه البنية اللّغويّة تكمن الإشكاليّة الاستدلاليّة غير المنطقيّة التي تستنكرها "سلوى"، فإن كان الرّأي القائل إنّ "الأشياء تُعرّف بالأضدّاد، فلا يمكن معرفة المرأة إلا بتعريف نقيضها وهو الرّجل، أراد الفكر النّسويّ الانطلاق من قاعدة الاختلاف، فالمرأة لا تعرف بكونها نقيض الرّجل، ولكن في كونها مختلفة عنه ... واستقامت فرضيّات الفكر النّسويّ على قاعدة نقد التّفاضل بين الذّكور والإناث على أساس الهويّة الجنسيّة، وسعت إلى تشكيل هويّة أنثويّة تختلف

---

[15] **محمود، إبراهيم. الجسد البغيض للمرأة دراسة، دار الحوار، ط1، 2013، 16-17.**

[16] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 40.**

[17] **ينظر: عشير، عبد السلام. *عندما نتواصل نغير*، 164.**

[18] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 43-44**

[19] **ينظر: عشير، عبد السلام. *عندما نتواصل نغير*، 114.**

[20] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 61.**

عن الهويّة الذكوريّة، بناء على الأدوار والوظائف الاجتماعيّة، لا بقصد التّمايز ، وإنّما بهدف التّمييز"[21]، ولفهم المقصد اللّغوي الكامن في هذه القضيّة، مستهدين بالرّأي النقديّ السّابق، نقف عند أداة الرّبط "لأنّ" الّتي تنفي قضيّة كره الرّجل، لتثبت رأياً يدّعي أنّ الرّجل يؤكّد الوجود؛ أي إنّ للرّجل دوراً في تأكيد ذات المرأة، وهو الّذي يمكّن دورها في الوجود من دون قيد أو شرط، وهنا يعمل الحجاج على إثارة الشّكوك من خلال تحميل القول السّابق على لسان الأمّ الّتي تمثّل العقليّة المعرفيّة التّراكميّة الموروثة اجتماعيّاً، في حين تثير "سلوى" الشّكوك حول ما تطرحه الأمّ من قضيّة غير مدعومة الحجّة، وغير واضحة المقاصد.

تعمل البنيّة اللّغويّة في هذا المتن على زعزعة ثوابت الأمّ الّتي تهمّش هويّة* المرأة، وتحثّ المتلقي على البحث عن هويّة المرأة الضّائعة، وإيجادها بعيداً عن حدود العباءة الموروثة الّتي تجعل من الرّجل ركناً أساسيّاً لوجود المرأة، إنّ تأكيد دور الرّجل في حياة المرأة حقيقة موضوعيّة، كمّا أنّ للمرأة دوراً في حياته أيضاً، وكره الرّجل غير المسوّغ لدى "سلوى" يرتبط بكره الثّقافة الذّكوريّة المتسلّطة.

وجاء في الرّواية: "**غداً قد يخرج أمجد ويجرّ معه كلّ الوجوه الّتي تسلّلت إليه عبر القضبان وستتعارك معها أمام أولاده وزوجته. وقد يبدأ بالصّراخ إلى أن ينهار من الإجهاد. عند ذلك سيبكي الأولاد وتشدّ سلوى شعرها وقد يتجمّع الجيران... حكايات حكايات سيتناقلها الجيران عن رجل وامرأة، كانا هنا ثمّ تركا المدينة إلى مدينة أخرى لا يعرفهما فيها أحد ولا تنبثق القضبان أمامهما كلّما قيل لأحدهما: صباح الخير يا جار**"[22]. يقف الحجاج في هذا النّصّ عند مسألة اعتقاد أكثر من كونه يقدّم حججاً منطقيّة، ويفترض قضايا عدّة تُبنى على: افتراض وقوع الخلاف الأسريّ بين "أمجد" وأسرته من جهة، والخلافات ستقوده إلى عالم جديد في مدينة جديدة من جهة ثانية، وكأنّ لغة النّصّ تدعو إلى الأخذ بما يقترحه المتكلّم الّذي يحرّضه على الهرب عوضاً عن المواجهة، ويعمل الحجاج التّفاعليّ في قوله:" **صباح الخير يا جار**" عملاً تواصليّاً، فالسّلام الّذي يدور على ألسنة النّاس لا يدلّ على معناه الحرفيّ بقدر ما يهدف إلى خلق حوار، والحوار الّذي سيدور بين الجيران سينبش الماضي الّذي يهرب منه "أمجد"، وسيجدّد مآسيه، وسيطارده ماضيه إن لم يدفنه خلفه، فيحرّض على تغيير المكان والوجوه، ويثير القلق من المجتمع الّذي يتربّص به، فيشكل كل من المجتمع والأسرة عامل نفور وهدم، تجعلهما عبئاً لا سنداً.

وهنا تقول اللّغة واصفة "سلوى": "**ما عادت تريد الذّهاب في الماضي تريد دخول المستقبل بجسد جديد وصوت جديد. كم تودّ لو تحمل الأدراج القديمة وتلقي بها في القلعة ربّما يستيقظ الموتى ويأخذونها**"[23]، وفي موضع آخر: "**إنّها تخاف النّسيان.. وتبحث عن وسيلة تجعله باستمرار راسخاً في عقلها ربّما لأنّها أنانيّة وتريده أن يبادلها هذا الرّسوخ لكنّ الحبّ لا يكون بلا أنانيّة وبلا تملّك**"[24]، إنّ الرّغبة المتأرجحة بين الهرب من الماضي من جهة ومحاولة

---

[21] **إبراهيم، عبد الله، *السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد*، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 2011، 11.**

*** الهوية: تتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية في جميع الأزمنة، وتتعلق بقدرة الشخص على الاستمرار في تكوين ذاته، وفي الهوية الجمعية هناك مبادئ تحكمها الوحدة والاستمرارية، فالجماعة تريد الحفاظ على ثقافتها وتراثها وطابعها، ينظر: بينيت، طوني؛ غروسبيرغ، لورانس؛ موريس، ميغان. مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت، ط1، 2010، 700 وما بعد.**

[22] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 56.**

[23] **عبود، أنيسة. ركام الزمن ركام امرأة، 97.**

[24] **السابق نفسه، 112.**

إنعاش الذّاكرة المهدّدة بالنّسيان من جهة أخرى، تضعنا أمام حجاج بالمفارقة، فهناك تأرجح بين أمرين، أحدهما يعارض الآخر ويقف منه موقف النّقيض، ولفهم المقاصد الحجاجيّة بين التّعارض القائم لابدّ من إدراك الغرض وراء كلّ من النّقيضين الذّاكرة والنّسيان، فالتّذكّر معنيّ بكلّ ما يثير البهجة ويؤجّج الحبّ لديها، والنّسيان هروب من الذّات القديمة بموروثها وعاداتها، وبما يحيط بها، وفي قولها "**ما عادت تريد الذّهاب في الماضي**" افتراض مسبق* يقرّ بسلطة التّعلق بالماضي، واللّهث وراءه بتشريعاته وعقليّاته، أمّا "**دخول المستقبل**" الّذي يشكّل نقيض الماضي فهو مجاز، والمجاز دليل الحجاج، ولا حجاج بغير مجاز[25]، فالمستقبل مازال مجهولاً، ولكونه كذلك، تعوّل لغة النّصّ عليه، وتتعلّق به الآمال، ويغدو المستقبل عالماً جديداً خلّاقاً ومنطلقاً، عالماً ذا بداية جديدة، تحقّق فيه ما عجزت عن القيام به.

وتستمر الرّغبة في التّغيير في قوله: "**ماذا تصحّح سلوى حتّى تصحّح.. لو كان الأمر بيدها لصحّحت أيّامها وغيّرت زمنها.. كانت ستضيف له أحرفاً وتحذف منه أحرفاً**"[26]، إنّ التّركيب النّحوي في الأسلوب الشّرطي* يُبنى على قضيّتين، يتوقّف فيه بناء القضيّة الثّانية على حصول الأولى، ويعرف هذا الأسلوب تداوليّاً بالاستنتاج الشّرطيّ[27]، فلو كان الأمر بيدها لصحّحت أيامها، فالنّتيجة الشّرطيّة غير متحقّقة، ويتوقّف حدوثها على وقوع القضيّة الأولى، وفي هذا الشّاهد تسعى "سلوى" إلى تغيير الزّمن الّذي صاغ القيم، وحدّد المفاهيم، والمقدّمة الشّرطيّة تقتضي وجود أخطاء متراكمة عبر الزّمن تتطلّب التّصحيح، وعقبات تستلزم المواجهة، ويهدف هذا النّوع من التّغيير إلى خلق عالم جديد، يحقّق ذات المرء، ويؤكّد فاعليتها عوضاً عن تهميشها وإضعافها.

أمّا حسن أخو سلوى فيمثّل بردود أفعاله وكلامه موقفاً مغايراً وواضحاً، يقول مخاطباً قبر جدّه: "**أريد أن أسافر وأحبّ وأرقص وأغنّي مثل صديقي عثمان ستقول: إنّه الشّيطان الّذي أغواني وذهب بهيبتي.. اسمع يا جدّي البشر وصلت إلى القمر... فجأة راح يرمي الأوسمة على الأرض ويمسك بالعمامة ويرميها إلى الخارج**"[28]، الاستدلال الحجاجيّ الّذي جاء في لغة هذا النّصّ يضعنا أمام قضيّة حجاجيّة، يَظهر فيها الجدّ الراكد في قبّته بوصفه ممثّلاً للسّلطة الدّينيّة مظهر الثّابت والرّاسخ في العقليّة المشرعنة، وتمثّل ردّة فعل حسن التّمرد والرّغبة بالانعتاق من هذه السّلطة، ورفض القيم الرّاسخة والمتوارثة عبر الزّمن من الجدّ إلى الحفيد، بل من السّلف إلى الخلف، فالرّغبة بممارسة أشكال الحياة المتمثّلة بالرّقص والغناء والموسيقا والحبّ، تثبت أنّ هناك افتراضاً مسبقاً يشي بمجموعة محرّمات دينيّة، تكاد ترتبط بأفكار اجتماعيّة متوارثة، تُنسب إلى المعتقد الدينيّ، فتحرّض لغة النّصّ المتلقي على التّغيير، وتكشف المقاصد وعي الإنسان لذاته، وحاجته إلى إثبات هويّته الشّخصية الّتي تتعارض بتحوّلاتها مع هويّة السّلف الثّابتة.

*** الافتراض المسبق "شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام"، يول، جورج. *التداولية PRAGMATICS*، 51.**

[25] ينظر: عبد الرحمن، طه. *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، ط1، المركز الثقافي العربي، 1998، 232.

[26] عبود، أنيسة. ركام الزمن ركام امرأة، 109.

*** الشرط هو تعليق شيء بشيء آخر فإذا وُجِد الأول وُجِد الثاني، والشرطية ما يتركب من قضيّتين. يُنظر: الجرجاني، علي بن محمد الشريف. *كتاب التعريفات*، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، 13.**

[27] يُنظر: شارودو، باتريك. *الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى*، ترجمة: د. أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، 39.

[28] عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 145.

أمّا "سلوى" الّتي مرّ زمن طويل بنكباته عليها، فتقول مخاطبة نفسها:

"**امرأة تشبه زنّوبيا**"

أحقاً أنا زنّوبيا؟!!

لماذا لا أكون زنّوبيا. قالت سلوى وهي تنظر في المرآة الطّويلة الّتي تتصدّر غرفتها. لكن زنّوبيا الّتي في داخلها خرجت مقموعة باكية"[29].

يعزّز الحجاج بالرّمز متن هذه القضيّة، فيشكّل آليّة حجاجيّة إقناعيّة، فمن خلاله تُضمر المدلولات التّداوليّة؛ ليحملنا الرّمز على تلقّي التّقابل القائم بين "سلوى" التّابعة المهزومة، و"زنّوبيا" الملكة ذات السّلطة والقوّة والاستقلال، زنّوبيا الّتي انتهت بهزيمة نكراء، فينعكس الصّراع الدّاخلي في خضمّ صراع الذّات مع الآخر، فـ"سلوى" امرأة تبحث عن ذاتها الّتي تدّعي قوّتها: "**لماذا لا أكون زنّوبيا**"، ولكنّ هذه الذّات تتلاشى : "**زنّوبيا الّتي في داخلها خرجت مقموعة**"، فيشير الكلام إلى الذات المهزوزة والمنكسرة، على الرغم من أصالة هذه الذّات ومتانة جوهرها، فيحملنا الرّمز على البحث في أبعاد الشّخصية المرموز إليها، والنّظر في ذات المرأة وجوهره، في عمليّة تحريضيّة على فهم ذواتنا وحاجاتها وقدارتها.

تسعى "سلوى" إلى إثبات ذاتها وحضورها الفاعل على الرّغم من تعطيل هذا الدّور، ومحاربته اجتماعيّاً، وقد شكّل حضور الذّات في الكتابة وسيلة للتّحرر والتّعبير عن نفسها ومعاناتها، ونقل ذلك إلى المتلقّي بشيء من التّفاعل بين النّفسيّ والواقعيّ والاجتماعيّ[30]، فبروز الذّات في الرّواية المعاصرة متضمّنة في جوهر التّلفظ، وكون الجانب الإقناعيّ في العمليّة الحجاجيّة المتضمّنة في البينة اللّغويّة حاجة ملحّة، لزمَ التّفاعل مع الطّرف المستقبل، والنّفاذ إليه من خلال آليّات لغويّة مختلفة، بغية إثبات مقاصد محدّدة.

وتكمن المفارقة عندما يدور الزمن، وينقلب على "سلوى" يوم يود ابنها الزواج بامرأة أكبر منه سناً، "**هو فعلاً متزوّج من امرأة تكبره بسنوات كثيرة. ما الّذي ينقصه؟ .... لماذا نتزوّج الرّجل الأكبر ولا نتزوّج الرّجل الأصغر؟ نحن النّساء ظالمات لأنفسنا**"[31]، والحجاج بالمفارقة يرمي بنا أمام هاتين القضيّتين المتناقضتين، بين الماضي والحاضر، بين سلطة الأعراف والرّغبة بالتّمرد عليها والانعتاق منها، ويُشهّر بحجم التّناقض الكامن في التّفكير الإنسانيّ، وربّما في الطّبيعة البشريّة على وجه العموم، ويعرّي المتلقي أمام نفسه، و"من المسلّم به أنّ التّناقض حقيقة قائمة في تجاربنا مع الأشياء لما تبلغه من التّعقيد... إنّ الوقوف على التّناقض يحرّك الهمم للعمل على إزالته وإقامة الاتّساق في الأشياء"[32]، إنّ لغة الرّواية تكشف عن الازدواجيّة الفكريّة الّتي لا تخلّ بالمنطق العقليّ، وإنّما ترتبط بالازدواجيّة الاجتماعيّة، وتعقيدات الموروثات، وربّما التّناقضات الحياتيّة على وجه العموم في سبيل الظّفر بالحقائق، أو في سبيل الاحتكام الصّائب تجاه ما يمرّ بنا.

وتتعالق الذّات الضّعيفة في لغة الرّواية مع الهويّة العربيّة الّتي تضمحلّ في بعض الذّوات المهمّشة، فها هي "سلوى" تسعى إلى تعليم زوجة ابنها لغتها العربيّة، تلك المرأة الأجنبيّة الجديدة في زمن الرّكام المتحجّر "**حاولت سلوى أن تعلّمها بعض الكلمات العربيّة رفضت باعتبار أنّ هذه اللّغة صعبة ولا تقدر على تعلّمها وأنّ لغة العصر هي اللّغة**

---

[29] ***السابق نفسه*، 170.**

[30] **ينظر: دهيمي، حكيم؛ سلطاني، فاروق. *الرواية النسوية مرجعيات التأسيس بين خصوصية الإبداع وتشكيل الهوية*، مجلة النقد الأدبي الدراسات النسوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 3/26، ع103 ربيع 2018، 330.**

[31] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 235.**

[32] **عبد الرحمن، طه. *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، ط2، المركز الثقافي العربي، 2000، 52.**

الإنكليزيّة سيّدة اللّغات. إذن اللّغة تأخذ دور المستعمر أيضاً"[33]، وعند تحليل هذه القضيّة الحجاجيّة يستوقفنا الرّابط "إذن" بوصفه رابطاً مُدرِجاً للنّتيجة، فهو يعلن نتيجة تفترض أنّ اللّغة الأجنبيّة مستعمر جديد، وتضمر البنية اللغويّة مقاصد مقلقة، فتجميد اللّغة العربيّة، ووصفها باللّغة الصّعبة، ورفض تعلّمها، يشير إلى رفض الهويّة العربيّة ونكرانها، في حين تسود اللّغة الأجنبيّة، وتستعمر العقول، ويغدو الاستعمار بأدوات جديدة تتخطّى السلاح المألوف وآليات الحرب السّاخنة، لتستولي على العقول من خلال لغة أجنبيّة تبثّ أيديولوجيّات وثقافات أجنبيّة مزعومة، وتستحوذ حيّز التّفكير والتّعبير، وتنأى بمتكلّمي اللّغة بعيداً عن مضامير الحياة، فتلهث الهويّة العربيّة المهزوزة وراءها، وتتّصل وتتواصل مع الآخر من خلال لغته، إلى أن تفقد هذه الهويّة ثقتها بنفسها، وتتلاشى أمام هيمنة المستعمر الجديد.

غير أنّ النّظرة الحياديّة إلى اللّغات الأخرى تؤكّد أهميّة اللّغات وتَعلّمها من أوجه عدّة، واكتساب المعارف الأجنبيّة، فضلاً عن الغاية الأولى منها، وهي التّواصل، لكنّ الخطر يكمن في الانجراف وراءها والانبهار بها، وذلك يشكّل أزمة حقيقيّة، بخاصة عند الإقرار بإشكاليّة صعوبة اللّغة في قولها: "**هذه اللّغة صعبة**"، وما تحمله هذه الجملة من معنى مضمر يدلّ على جمود اللّغة، وعدم قدرتها على مواكبة مرونة العصر، ما جعلها أبعد من أن تتداولها الألسن في العالم.

أمّا "سلوى" فقد طرأ عليها تغييرات مثيرة تكشفها لغة الرّواية، فهي تصحو في مقام محدّد، لتعبّر عن امرأة ناضجة تهيّأت لمواجهة الواقع الجديد، فها هي تحدّث "حسن" قائلة: "**لقد مرّ بك ما يكفي من خسارات لتتصلّب أكثر.. موت فداء. موت أبيك وأمّك وموت أحزاب ودول وحرّيّات وانتماءات وقوميّات وموت الشّعور العربيّ القوميّ. وموت العزائم الثّوريّة.. موت جدّك. إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب.. إنّنا نعود إلى زمن الغاب. القوي يأكل الضّعيف وقانون القوّة هو القانون المعترف به.. يجب أن تكون أقوى من الخسارات. أقوى من الموت لتعيش**"[34]. تعرضُ لغة المقطع السّابق مجموعة من المقدّمات الاستدلاليّة المتسلسلة وفق سلّم حجاجيّ ترتيبيّ، وفيه تُبنى كلّ مقدّمة على سابقتها، والسلّم دليل على مدلول معيّن، وما يعلوه مرتبة يكون دليلاً أقوى عليه[35]، فالخسارات الّتي راكمها الزّمن المتضمنة في "**موت الحبيبة والأمّ والأب**" الّذين يمثّلون الانتماء الأسريّ الضّيق، تلاها خسارات ذات مستوى أبعد وأكثر إيلاماً، لما فيها من عموميّة البلوى، والّتي تمثّلت في "**موت الدّول والقوميّات والشّعور العربيّ**"، فالسّياق اللّغويّ للنّصّ يسوق جملة من الانكسارات الإنسانيّة والقوميّة على الصعيدين الفرديّ والجمعيّ، وفي كلّ انكسار صورة لهزيمة الإنسان، ولكن دعوة الانتهاض تأتي على صورة أنموذج المثل، "**إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذّئاب**" والمثل حجّة المتكلّم، لأنّه يبنى على المشابهة بين أمرين[36]، وهو ركن داعم لقضيّته، فللمثل قاعدة شعبيّة، وهو حصيلة تجارب اجتماعيّة تراكميّة، يسهل تداوله في سياق ملائم، وفي المثل الوارد في الشاهد نرى أنّ مواجهة النّكبات تشترط تعديلاً في القانون الإنسانيّ للبشر، وتحوّلاً في ذواتهم، وانقلاباً من حال المظلوم إلى الظّالم، فموت السّند والانتماء يستدعي موت الإنسانيّة في ضمائر النّاس، في دعوة صريحة إلى تبنّي قانون القوّة، للتّغلب على الضّعيف، فيشتغل الحجاج التّحريضيّ في هذا السّياق اللّغوي، ويسدّ

---

[33] **عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، 240.**

[34] ***عبود، أنيسة. ركام الزمن ركام امرأة، 245.***

[35] **ينظر: عبد الرحمن، طه. *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، 277.**

[36] **ينظر: العمري، محمد. *في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية- الخطابة العربية في القرن الأول نموذجاً*، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002، 82.**

المنافذ على المتلقّي، ليقول له: إمّا أن تكون وإمّا ألّا تكون، فقوّة الإنسان تكمن في صحوته الّتي ستنهض به وبوطنه المتداعي.

وتعود "سلوى" إلى زمن تبحث فيه عمّا تفتقده في الحاضر، "**توجّهت إلى منزل العائلة.. لم تجده... لم تجد سلوى.. بل وجدت غبار الزّمن على بابه.. وعلى شجرة التّوت القديمة نمت أوراق الذّكريات... إنّه بيت قديم.. كان ممتلئاً بالأمل والأحلام**"[37]. ويمثّل تحسّس الماضي دليلاً آخر على أثره في المرء، ويعزّز المتن السّابق بجملة من الصور والكنايات البلاغيّة، وتعدّ الاستعارة عامل حجاجيّ إقناعيّ وتأثيريّ، وتمثّل الاستعارة الواردة في الشّاهد حجاجاً تأثيريّاً يشتغل على مشاعر المتلقّي، ويثير خياله، ويحمله على البحث عن النتيجة، فالعجز في الحاضر يعود بالمرء إلى خيالات الماضي وإنجازاته، في محاولة عقد هدنة مع الحاضر، وتدخل الاستعارة ضمن الوسائل اللّغويّة الّتي يستغلّها المتكلّم بقصد توجيه خطابه، و"الاستعارة الحجاجيّة هي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلّمين وبسياقاتهم التّخاطبيّة والتّواصليّة"[38]، فالصّور تُبنى على المجاز، والمجاز جوهر الاستعارة، ومن ذلك تضمر الصّورة في "نمت أوراق الذّكريات" المقاصد، وتصبّها في قالب شفّاف في الوقت نفسه، فضياع المنزل و"سلوى" معاً "**لم تجده... لم تجد سلوى**" ليس إلا طيّاً للماضي بجغرافيّته المكانيّة الواسعة، وأناسه وتاريخهم، إنّ الماضي وفق السياق لم يعد في الذّاكرة.

الخاتمة:

يتمّ التّوقف في الخاتمة عند جملة من النتائج الّتي توصّلت الدّراسة إليها في هذا البحث:

1. لغة الرّواية لغة تواصليّة ذات أهداف نفعيّة يمكن التّوصل إلى مقاصدها بالإفادة من الدّراسة اللّسانيّة العلميّة المنظّمة والموضوعيّة.

2. اعتمدت المسائل الفكريّة في الرّوايّة بعض الحجج القائمة على الاستدلال الاستنتاجي، إذ ترتبط مقدّمة أو أكثر ببعضهما، وتشكّلان سلسلة من الحجج الدّاعمة لقضية واحدة تسوقها تلك المقدّمات، وشكّلت الرّوابط الحجاجيّة المختلفة دعامات أساسيّة وجهّت الاستدلال، وربطت أسبابه بنتائج ومقاصد محدّدة، حرّضت فيها المرأة على الخروج من عباءة الرّجل الموروثة.

3. كوّن الرّمز حجّة إقناعيّة داعية إلى تمكين الشّخصية، وتحفيزها على استنهاض القوّة الكامنة، وإثبات الذّات الفاعلة الّتي تمتلك إرادة التّغيير والإقدام.

4. عمل الحجاج بالمفارقة على إظهار حجم التّناقض الكامن في الأفكار البشريّة، وحثّ المتلقي على اتّخاذ موقف واضح تجاه القضايا الاجتماعيّة والوجوديّة، وتعديل الثّوابت القابلة للتّغيير والتّطوير.

5. عزّزت الاستعارة الحجاجيّة بطابعها المجازي وبشفافيتها البلاغيّة إشكاليّة الفكر الثّابت والرّاسخ في العقليّات، لتنتقدها بتوجيه عاطفيّ انفعاليّ يجذب المتلقي، ويحمله على رفض الأفكار الموروثة غير المجدية وحضّه على تعديل موقفه منها.

6. شكّل الحجاج بالمثل دعماً للقضيّة المزعومة؛ لكون المثل يشكّل في قاعدته الشّعبيّة أرضيّة متينة مقنعة، فعمل على التّحريض والامتثال إلى القوّة والإصرار في السّلوك البشري.

---

[37] ***عبود، أنيسة. ركام الزمن ركام امرأة ، 246-247.***

[38] ***العزاوي، أبو بكر. اللغة والحجاج، 108.***

7. شكّل السّلم الحجاجيّ وسيلة إقناعيّة في استدلاله التّدريجيّ الّذي وضع المتلقي أمام جملة متسلسلة من العقبات المتراكمة الّتي خلّفها الزّمن، وحثّ المتلقي على النّهوض من ركام الأوهام الموروثة، وحرّضه على تغيير قيمه؛ ليتبنّى قيماً جديدة تتلاءم مع روح العصر الجديد، للنّهوض بالإنسان والوطن.

المصادر والمراجع:

1) إبراهيم، عبد الله. *السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد*، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، 2011.

2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري. *لسان العرب*، تحـ: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط1، دار المعارف، مصر، 1981.

3) بروتون، فيليب؛ جوتييه، جيل. *تاريخ نظريات الحجاج*، تر: د. محمد صالح ناحي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، 2011.

4) بينيت، طوني؛ غروسبيرغ، لورانس؛ موريس، ميغان. مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت، ط1.

5) الجرجاني، علي بن محمد الشريف. *كتاب التعريفات*، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص13.

6) روبول، آن؛ موشلر، جاك. *القاموس الموسوعي للتداولية*، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، د.ط، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، سلسلة اللسان، د.ت.

7) شارودو، باتريك. *الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى*، ترجمة: د. أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.

8) الشبعان، علي، *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة*، دار الكتاب الجديد المتحدة– بيروت، تقديم: حمادي صمود، ط1، 2010، 263.

9) عبد الرحمن، طه. *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، ط1، المركز الثقافي العربي، 1998.

10) عبد الرحمن، طه. *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، ط2، المركز الثقافي العربي، 2000.

11) عبود، أنيسة. *ركام الزمن ركام امرأة*، ط2، التكوين، 2009.

12) عشير، عبد السلام. *عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج*، د.ط، أفريقيا الشرق– المغرب، 2006.

13) العزاوي، أبو بكر، *اللغة والحجاج*، العمدة في الطبع، ط1، 2006.

14) العمري، محمد. *في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية– الخطابة العربية في القرن الأول نموذجاً*، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002.

15) فام، يعقوب. *البراغماتزم أو مذهب الذرائع*، د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، السلسلة الفلسفية، 1936.

16) محمود، إبراهيم. الجسد البغيض للمرأة دراسة، دار الحوار، ط1، 2013.

17) يقطين، سعيد. *قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود*، ط1، رؤية، 2010.

18) يول، جورج. تر: قصي العتابي، *التداولية PRAGMATICS*، ط1، الدار العربية للعوم ناشرون، دار الأمان الرباط، 2010.

الدوريات:

1) عمر، جايلي. *نظرية الحجاج اللغوي عن أوزفالد ديكرو وأنسكومبر*، العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة الأغواط ، ع3، 2018،

2) دهيمي، حكيم؛ سلطاني، فاروق. *الرواية النسوية مرجعيات التأسيس بين خصوصية الإبداع وتشكيل الهوية*، مجلة النقد الأدبي الدراسات النسوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 3/26، ع103 ربيع 2018

3) الرقبي، د.رضوان. *الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله*. عالم الفكر – الكويت، م40 ع2. 2011.

Sources and references:

1) Ibrahim, Abdullah. Feminist narrative, patriarchal culture, female identity and the body, 1st edition, The Arab Institute for Studies, 2011.

2) Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram al-Ansari, the African Egyptian. Lisan al-Arab, edited by: Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hasab Allah, Hashim Muhammad al-Shazli, 1st edition, Dar al-Ma'arif, Egypt, 1981.

3) Broughton, Philip; Gauthier, Jill. History of the theories of pilgrims, see: d. Muhammad Salih Nahi Al-Ghamdi, 1st edition, Scientific Publishing Center, King Abdulaziz University, 2011.

4) Bennett, Tony; Grosberg, Lawrence; Morris, Megan. New terminological keys, a dictionary of terms of culture and society, tr.: Saeed Al-Ghanmi, The Arab Organization for Translation, Center for Arab Unity Studies - Beirut, 1st edition.

5) Al-Jurjani, Ali bin Muhammad Al-Sharif. Definitions Book, Dr. I, Lebanon Library, Beirut, 1985, p. 13.

6) RuPaul, Anne; Muschler, Jack. The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics, tr.: a group of professors and researchers under the supervision of Ezz El-Din El-Majdoub, review: Khaled Milad, d.i., the National Center for Translation, Dar Sinatra, Tunisia, the tongue series, d.t.

7) Charudo, Patrick. Al-Hajjaj between theory and method, on the book Towards Meaning and Building, translated by: Dr. Ahmed Al-Wadrani, 1st edition, United New Book House, 2009.

8) Al-Shabaan, Ali, Al-Hajjaj, Al-Haqiqa, and the horizons of interpretation, a study of forms and strategies in representative models of the interpretation of Surat Al-Baqara, Dar Al-Jadeed Al-Muttahidah House - Beirut, presented by: Hammadi Samoud, 1st edition, 2010, 263.

9) Abdul Rahman, Taha. Tongue and Balance or Mental Propagation, 1st Edition, Arab Cultural Center, 1998.

10) Abdul Rahman, Taha. In the origins of dialogue and the renewal of theology, 2nd edition, the Arab Cultural Center, 2000.

11) Abboud, Anisa. The rubble of time, the rubble of a woman, 2nd edition, Genesis, 2009.

12) Ashir, Abdel Salam. When we communicate, we change a cognitive pragmatic approach to the mechanisms of communication and pilgrims, Dr. I, East Africa - Morocco, 2006.

13) Al-Azzawi, Abu Bakr, The Language and the Pilgrims, Al-Omdah fi Al-Taba`, 1st Edition, 2006.

14) Al-Omari, Muhammad. In rhetoric of persuasive discourse, a theoretical and practical approach to the study of Arabic rhetoric - Arabic rhetoric in the first century as a model, 2nd edition, East Africa, Morocco, 2002.
15) Pham, Jacob. Pragmatism or the Doctrine of Pretexts, Dr. I, The Press of the Authorship, Translation and Publication Committee, The Philosophical Series, 1936.
16) Mahmoud, Ibrahim. The hateful body of women, a study, Dar Al-Hiwar, 1st Edition, 2013.
17) Pumpkin, happy. Cases of the New Arab Novel, Existence and Borders, 1st Edition, Vision, 2010.
18) Yul, George. TR: Qusai Al-Atabi, Pragmatics Pragmatics, 1st Edition, The Arab House of Science Publishers, Dar Al-Aman, Rabat, 2010.

Periodicals:

1) Omar, Gailey. Linguistic pilgrims' theory on Oswald Decroux and Anascomber, El-Omda in Linguistics and Discourse Analysis, University of Laghouat, p. 3, 2018,
2) Dahimi, Hakim; Sultany, Farouk. The Feminist Novel: Foundational References Between the Specificity of Creativity and the Formation of Identity, Journal of Literary Criticism, Feminist Studies, The Egyptian General Book Authority, Volume 3/26, Issue 103, Spring 2018
3) Al-Raqbi, Dr. Radwan. Argumentative deliberative reasoning and its mechanisms of operation. The World of Thought - Kuwait, Issue 40, Part 2. 2011.